

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بسكرة محمد خيضر

الكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

الفرع: العلوم الاجتماعية

التخصص: الانثروبولوجيا

المقياس: الامازيغية

العنوان:

نظام العزابة في المجتمع المزابي

من اعداد:

مبروكة قبي

بدره صياد

خطة البحث:

مقدمة

- تعريف العزابة
- نشأة العزابة
- شروط الانضمام لنظام العزابة
- مهام نظام العزابة

خاتمة

قائمة المراجع

مقدمة:

تعددت النظم التي تحكم القبائل حسب الخصوصية الثقافية والاجتماعية لكل منطقة، ومنطقة بني مزاب التي تقع في الجنوب الجزائري تتميز بانتمائها إلى الاباضية و اثنيا إلى الامازيغ. فمن خلال هذه الثنائية يعرف المزابيون أنفسهم. ويعد نظام العزابة من الأنظمة الدينية والاجتماعية الذي يحتل مكانة في الجزائر وخصوصا المجتمع المزابي، يعتمد هذا النظام على مجموعة من القيم والتقاليد، كما أنه يعمل على مجموعة من المهام : التعليم الديني ، الإرشاد والخدمة الاجتماعية... ويلعب دورا مهما في الحفاظ على التراث الثقافي. وفي هذه الورقة البحثية سنتعرف على نظام العزابة و نشأته واهم المهام التي يؤديها

• تعريف العزابة:

لغة:

أصل كلمة العزابة في اللغة من فعل عزب يعزب، فهو عازب، ويجمع على عزاب،¹ وتفيد معنى تغيب الإنسان عن أهله أو ماله أو متاعه، ومنه قوله تعالى: وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مَّثَقَلٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [سورة يونس:]، كما يطلق اللفظ على من لا زوجة له

اصطلاحاً:²

لفظة العزابة مشتقة من عزب عن الشيء ؛ بمعنى تركه وانصرف عنه، وباللغة الأمازيغية يقال: "إِعْرَابِن"، مفردة: "أَعْرَاب" وقد عرف أبو العباس الدرجيني العزابة بقوله: «العزابة واحد هم عزابي هذه اللفظة استعملتها لقباً لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، فإن أحسن جميع هذه الصفات سمي عزابياً ... واعلم أن لهذا الصنف سيما انفرادوا بها ، وأحوالاً عرفوا بها ، لا يتفضل عليهم فيها سواهم، وذلك في تسميتهم، وخطابهم، ومؤاكلتهم، ولباسهم، وأوقات نومهم وقيامهم، وأورادهم وصيامهم، وعبادتهم، وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدونها، وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه.

ويتكون مجلس العزابة غالباً من اثني عشر عضواً هم بحسب وظائفهم:

- شيخ الحلقة : يقوم بالوعظ والتذكير، ويعلم الولاية والبراءة.

- إمام الصلاة: يؤم الجماعة، ويشرف على عقود الزواج في المسجد.

- المؤذن يؤذن للصلاة، وينوب الإمام عند غيابه .

- وكيل المسجد يشرفان على أملاك المسجد وأوقافه.

- مقرئو المحاضر: يشرفون على المحاضر.

- الغسالين (إمسيريدن): يتولون غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم.

- قاضي البلد يفصل في النوازل.

¹ معجم مصطلحات الاباضية مادة عزب 2-652.

² نفس المرجع السابق: 2/653.

• نشأة العزابة:3

أصل نظام حلقة العزابة مستمد من السياسة الشرعية التي ترى وجوب تنصيب الإمام وإقامة الدولة الإسلامية؛ لتطبيق أحكام الشرع، وتنظيم شؤون الرعية، وقد تميز الإباضية بنظرية دقيقة حول المنهج الذي ينبغي سلوكه لإقامة دين الله في المجتمع، عُرفت هذه النظرية عندهم بمسالك الدين؛ أي مراحل إقامة دين الله في المجتمع، وهي أربعة: الظهور - الدفاع - الشراء الكتمان ، ويقوم نظام الإمامة عندهم على الشورى في مرحلة الظهور، ويعد نظام العزابة في مرحلة الكتمان بمثابة مجلس الشورى في فترة الظهور وقد كان إباضية بلاد المغرب بعد سقوط الدولة الرستمية

يعيشون مستضعفين في جماعات متفرقة، في كل من جبل نفوسة بليبيا، وبلاد الجريد وجزيرة جربة بالجنوب التونسي ، وقد اختاروا مسلك الكتمان، والابتعاد عن الصراعات السياسية ؛ حفاظا على وجودهم واستقلاليتهم واتخذوا من الرابطة المذهبية والثقافية سبيلا للتجمع، ففكروا في نظام بديل يحفظ كيانهم وتعاليم مذهبهم، وبعد مشاورات بين إباضية المغرب في كل من أريغ و وارجلان وجربة ونفوسة استقر قرارهم على تأسيس نظام الحلقة على غرار مسلك أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من قبل في البصرة، فأوكلوا المهمة إلى أبي عبد الله محمد بكر الفرسطائي النفوسي ، فأبى لهم من ذلك وامتنع، فمكثوا يراودونه ما شاء الله حتى قبل ذلك، فاضطلع بالمهمة على أحسن وجه ووضع الأسس الأولى للنظام، وأعلن التحول إلى مسلك الكتمان في أريغ (بلاد الجزائر)

وكان نظام حلقة العزابة في بدايته نظام حلقة علم متنقلة تمثلت في مجالس المذاكرة والعلم والاستفتاء والعبادة، ولم تكن مستقرة بمكان معين، وقد عرف عن أبي عبد الله أنه كان كثير التجوال، ينتقل من بلد لآخر ناشرا للعلم حتى لقب بـ: "السائح" ؛ لكثرة سياحته، ثم عرف هذا النظام تطورات مطردة وفق ما تقتضيه الحياة وتغيراتها .

ويعد نظام الحلقة بمثابة الإمامة الصغرى عند الإباضية حيث يتولى العلماء تسييره، وقد عُني بإدارة شؤون المجتمع، ونشر العلم والدين بين أتباعه بإحقاق الحق، ومحاربة الباطل، وإقامة العدل بين الرعية، وتكوين مجتمع اسلامي متوازن ، كما أن له مهام متعددة دينية، واجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية، وتمكن النظام أن يقود المجتمع الإباضي بنجاح، ويتمتع بسلطة روحية وعملية، ويكسب احترام قراراته، وبفضله استطاع الإباضية البقاء في بلاد المغرب رغم ظروف الفتن والاضطراب كما هيأ ظروف ملائمة للنشاط الفكري؛ إذ إن استقرار مجتمع الكتمان الذي أقامه الإباضية في مواطنهم المتعددة من بلاد المغرب ظهرت ثماره في الجانب الثقافي والفكري؛ لأنه نظام يقوم على التعليم والتعلم، وغرس السلوك الحسن بين أتباعه، فقد أدرك الإباضية « أن بقاءهم رهين بتكوين الجماعة تكوينا فكريا متكاملا، عقائديا وفقهيا بصورة لا يحتاجون معها إلى غيرهم، فانكبوا على البحث والتدوين، و أنشؤوا المدارس ومولوها، وبعثوا نظام المدرسة المتنقلة وأطلقوا عليها نظام الحلقة، كلف بتعهد الإباضية بالتعليم والتنوعية أينما كانوا » وتجسدت تلك النهضة الفكرية في حلقات التعليم المنتشرة في مختلف المناطق، ولم تقتصر مجالس العلم والحلقات على الحواضر الكبرى ؛ بل انتشرت في كل قرية وحي؛

³ مصباح عيسى: الابعاد المقاصدية لنظام حلقة العزابة، جامعة غرداية

وكانت الدروس التي تلقى في المساجد أغلبها دروس الوعظ والإرشاد وتعليم ما لا يسع المسلم جهله من أمور الدين، أما دروس المجالس فكانت كثيرة ومتنوعة، منها: التفسير، والحديث والفقه، والأخلاق وعلوم العربية، وسير السلف الصالح.

ويعد أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي ابن مؤسس نظام الحلقة من المستفيدين من هذه الحركة العلمية التي بعثها نظام حلقة العزابة، وقد خلف تراثا نفيسا فاق الخمس والعشرين مؤلفا في مختلف علوم الشريعة، وبخاصة في المجال الفقهي، والذي كان إسهامه فيه غزيرا؛ حيث كان مرجع الناس في الفتوى بل مرجع المعاصرين له، كما تدل بلاد المغرب، ولكنه لا يزال قائما في وادي ميزاب على ذلك الأخبار وتجدر الإشارة إلى أن نظام حلقة العزابة قد اندثر في كل من جبل نفوسة بليبيا، وجرية بتونس، وغيرها من المروية عنه في كتب السير.

و وارجلان بالجزائر إلى يومنا هذا ، مع تطور في الشروط والمهام والعدد.

● شروط الانضمام لنظام العزابة:⁴

- أن يكون الفرد بالغا ومسلما، يتحلى بالأخلاق الفاضلة وملتدنياً وفقهياً
- أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى، و مبدياً الرغبة التامة في التعلم والاستزادة من علوم الدين
- يجب أن يكون متزوجاً ليحصن نفسه، وملتدنيا وعفيفا طاهرا ونقي السريرة
- أن يشتغل بحرفة ما لكسب قوت يومه، فأعضاء العزابة لا يتقاضون أجرا وإنما يبتغون في عملهم الأجر والثواب
- أن يتسم بالتقوى والصلاح والاستقامة، وأن يكون كيسا سديد الرأي ونافذ البصيرة
- أن يكون عادلا وحكيما في قراراته.

● مهام نظام العزابة:⁵

المهام الدينية :

تتولى هيئة العزابة إصدار الفتاوى وفض النزاعات بين المتخاصمين، فأفراد المجتمع الميزابي عادة لا يلجؤون إلى المحاكم لفض منازعاتهم، بل يلجؤون للحلقة لحل خلافاتهم. على غرار إصدار الأحكام بالإضافة إلى تعليم القرآن حفظا وتلقينا وتعليم الصلاة بالطريقة الصحيحة للبالغين، وتعرف الحلقة في أوساط العامة من الميزابيين إلا في هذا الجانب، حيث تزدهر حلقات ومجالس العلم وتبادل الآراء والخبرات والنصح والإرشاد والوعظ والتذكير وتلاوة القرآن الكريم والحث على تعاليم الشريعة الإسلامية.

المهام التشريعية:

وهو الهيئة التشريعية الذي يتكون من قضاة البلاد وعلمائها، وهو أعلى سلطة دينية واجتماعية في جميع قرى ميزاب، ويتم عقد المجلس كل ثلاثة أشهر لتدارس الأوضاع السائدة في وادي ميزاب ويصدر قوانين وأحكام قضائية في الجرائم والجنايات والمعاملات وفقا للفقه الإسلامي (الإباضي). وللمجلس قوانين وقواعد مدونة تسمى باتفاقات وادي ميزاب

⁴ ابراهيم حجاز: القيم القرآنية في المجتمع الميزابي، العزابة نموذجا، وزارة الشؤون الدينية ص 3
⁵ مجلة روافد للبحوث والدراسات/ مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية جامعة غرداية/ العدد التاسع

المهام الاقتصادية:

وهي بمثابة السلطة الاقتصادية لوادي ميزاب حيث تشرف الحلقة أو الهيئة أو نظامها على رعاية حياة الأسر من الجانب الاقتصادي، والمتمثل في جمع ودفع اموال الزكاة ولا يتم توزيعها الا على مستحقيها فعلا والذي يجب ان يكون محافظا على دينه وطهارته وصلاته وتشرف الهيئة على الزواج ونفقاته وتحديد مبالغ المهور مع تعميمها على مختلف شرائح المجتمع، دون المغالاة فيها، حيث لا يجد الأغنياء بدأ لرفع المهور لكي يستطيع الشباب الزواج ولا يجدون تحرجا فيه ومساعدة الفقراء على إكمال نصف دينهم، كما تهتم بتحديد نفقات الكفالة والحضانة. هذا وتشرف العزابة على الأسواق العامة في قرى ومدن ميزاب كمراقبة الأسعار والسلع . وكان رئيس حلقة العزابة في السابق، هو الذي يتولى بنفسه مهمة افتتاح السوق بواسطة المنادي تكبيرا وبسملة وتهليلا وتحميذا، هذا وفي حال وقع نزاع أو مشادة تتولى العزابة الفصل فيه وحل الخلاف بين المتخاصمين ومراضاة أطراف النزاع.

المهام الاجتماعية

تتولى الحلقة الاهتمام بالجانب الاجتماعي للمجتمع الميزابي، وذلك من خلال الإشراف العام على كل ما له صلة بالمجتمع الإباضي كالزواج والمعاملات المدنية، والإشراف على اللباس والبناء وشروط الحياة الميزابية. هذا وتضطلع الهيئة بتفقد أحوال الناس ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين، وذلك من خلال ميزانية الحلقة أو المتبرعين ميسوري الحال.

يظهر جليا مدى الدور المؤثر والفعال الذي تلعبه وتؤديه هيئة العزابة من خلال مساهمتها في تطوير وترقية المجتمع الميزابي على مختلف الأصعدة. ولعل تحفيظ القرآن وتعليم الصلاة وضبط النشأ منذ الصغر على تعاليم الدين الإسلامي وحثهم على تطبيق مبادئه، يعتبر لب وجوهر البناء الاجتماعي بكل مقوماته، ذلك أن صلاح السريرة وعفة النفس وسمو ورفعة الأخلاق والطهارة والتمسك بتعاليم الدين واتباع سنة المرسلين يعطينا أفرادا صالحين في المجتمع يخافون الله ويتحلون بالإيمان؛ فهم أولى وأحق ببناء مجتمع متماسك قوامه العدل والصدق والإيمان والتضامن والتكافل والتأخي ليتحول المجتمع الميزابي إلى أسرة مصغرة ذات شأن واهتمام موحد.

خاتمة

في الأخير نستطيع أن نقول إن هذا النظام يشكل جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي والاجتماعي وخاصة في المجتمع المزابي، ويمثل أحد أهم ركائزه. من خلال دراستنا استطعنا تتبع الجذور التاريخية لهذا النظام والدور الذي يلعبه نظام العزابة في توحيد المجتمعات والمحافظة على موروثاتها الدينية والثقافية ، فهذا النظام لا يمكن النظر إليه أنه ظاهرة من الماضي بل هو نمط فاعر له تأثيراته في الحاضر والمستقبل كذلك.

قائمة المراجع:

- ابراهيم بحاز: القيم القرآنية في المجتمع المزابي، العزابة نموذجاً، وزارة الشؤون الدينية ص 3
- مجلة روافد للبحوث والدراسات/ مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية جامعة غرداية/ العدد التاسع ديسمبر 2020
- مصباح عيسى: الابعاد المقاصدية لنظام حلقة العزابة، جامعة غرداية
- معجم مصطلحات الاباضية مادة عزب 652/2